ندوة مؤسسة الأسوار - عكا

١٠ / ٤ / ٢٠٠٧

يقول يعقوب حجازي مدير عام مؤسسة الأسوار في عكا بأن هذه الندوة قد أقيمت استكمالاً لندوتي القاهرة وعمان اللتين أقيمتا إحياء لذكرى الشقيري في عام (٢٠٠٥) وكانت المؤسسة تزمع إقامة ندوة أخرى في رام الله للغرض نفسه ، ولكن يبدو أن ظروفاً ما لم تمكنها من ذلك .

وقد رافق الندوة معرض للكتاب ضم أعمال الشقيري المنشورة ، واشتملت على كلمتين رئيستين ، فضلاً عن حفل غنائي وطني وقصيدة شعرية .

تحدث في الندوة الدكتور بطرس دلة الذي عرض لحياة الشقيري وأثرها في سيرته ، وبالتالي في مسيرة القضية الفلسطينية ، مضيئاً على علاقاته مع رجالات سورية ولبنان حين كانوا لاجئين في فلسطين وبعد أن أصبحوا قادة بعد الاستقلال ما ساعد الشقيري حين عمل في الدفاع عن القضية الفلسطينية بعد ذلك ، كما توقف عند دوره في ثورة ١٩٣٦ ودفاعه عن معتقليها وكذلك دوره في تأسيس الجامعة العربية ، ثم وهو الأبرز دوره في تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية . ورأى أن هزيمة حزيران كان سببها الحكام لا الشعوب وهذه كانت نقطة فارقة في علاقاته بها (بالأنظمة) ثم في تنحيته عن المنظمة . وأشار في الختام إلى إيمان الشقيري بالكفاح المسلح والوحدة العربية كمتلازمتين لحل القضية الفلسطينية .

ثم تحدث المؤرخ الفلسطيني المعروف الدكتور مصطفى كبها الذي كانت كلمته تحليلاً معمقاً لسيرة الشقيري ركز فيها على أن الشقيري ظاهره في التاريخ الفلسطيني لم يأخذ حقه الكامل ، وأنه كان في مسيرته جلها (ضد التيار) وقال إنه كان ضمن مرحلة قيادة سماها قيادة (الأفندية) التي خلفت الأعيان ، ونقلت البلاد العربية من مرحلة الاستعمار إلى مرحلة الاستقلال ، وتوقف عند تمثيله لكل من سورية والسعودية في الجامعة العربية والأمم المتحدة ، وكيف أن ذلك لم يكن قيداً عليه ليكون إقليمياً في مواقفه ، بل ظل أميناً على القضية القومية بمجموعها . ولأهمية هذه الكلمة نورد فيما يأتي نصها :

أحمد الشقيري ظاهرة مهمة من مظاهر الكفاح الوطني الفلسطيني ، لم يعط الفرصة كاملة كقائد للشعب الفلسطيني لمرحلة انتقالية ما بين الحاج أمين الحسيني وبين ياسر عرفات . وكانت الحركة الوطنية الفلسطينية في هذه الفترة في مرحلة مفصلية ، ترك فيها الكثير من البصمات في حياته كناشط سياسي حافلة بالمنجزات ، حافلة بالكفاح ، وكان كثيراً ما يسير ضد التيار إن كان على المستوى العائلي ، أو المستوى الوطني ، أو النزاع الطبقي الذي كان موجودا في فلسطين الانتداب ، رَأْيُنا أنه ترك منصبه انتقادا للزعامة العربية ، إذ كانت لديه الشجاعة لأن يقول كفى ، لا أستطيع أن أفعل أكثر مما فعلت .

ينتمي أحمد الشقيري إلى جيل عرفه الشرق العربي بـ « جيل الأفندية » . ولد في أواخر الفترة العثمانية ، وتعلم في أجهزة التعليم التي أقامتها حكومة الانتداب البريطاني ، وبدأ التأثير على مجرى الأحداث في نهاية العشرينيات وبداية الثلاثينيات من القرن الماضي ، وكانت للكثير منهم تجربة الدراسة في الجامعة الأميركية في القاهرة أو في بيروت ، والكثير منهم كانت لهم علاقات مع المجال العربي الواسع والحركة القومية ، بمعنى أن لهم نشاطات وطنية فلسطينية . رأوا أنها جزء من النشاط القومي العربي .

وقف هذا الجيل أمام دوامة جدية ، إذ كان هناك كثير من الاحتكاك مع الجيل السابق ، و يعني هذا الاحتكاك في الدرجة الأولى احتكاكا مع : الآباء . أبناء العائلة ، أبناء الطبقة الاجتماعية . جاءوا ليرثوا جيل الأعيان الذين قادوا الحركة الوطنية الفلسطينية في العقدين الأول والثاني من القرن الماضي ، وما كان هذا الجيل ليترك (يخُلي) الحلبة السياسية بسهولة ، ولذا كان على جيل الأفندية الكفاح بشدة وقوة ليجد له مكانا في النشاط الوطني . وتضم المجموعة إضافة الى الشقيري أكرم زعيتر ، إميل الغوري ، يوسف هيكل ، عبد القادر الحسيني ، وجميعهم أبناء عائلات مدنية بالأساس ، عندما وصلوا إلى قمة تأثيرهم ، قادوا طبقة وسطى جديدة ، طبقة من المثقفين المتعلمين الجدد ، عليهم المكافحة في بعض الحالات ضد الطبقة التي خرجوا منها كي يستطيعوا الوصول إلى قدر من التأثير ، وكان لهم الكثير من النجاحات ليس في فلسطين فقط ؛ بل في سورية والعراق ومصر . جيل الأفندية هو الجيل الذي قاد كافة البلاد العربية من الاستعمار - الانتداب إلى الاستقلال في البلاد العربية . والحالة الفلسطينية هي حالة خاصة ، وكان لهذا الجيل بصمات مهمة في القضية الفلسطينية .

أحمد الشقيري على سبيل المثال أبوه هو الشيخ أسعد الشقيري ، وعرف في العهد العثماني بـ « أسعد شقير » كان رمزا من رموز الفترة العثمانية ، كان عضوا فاعلا

في « تركيا الفتاة » ، و في « جمعية الاتحاد والترقي » . وزاول هذا النشاط في فترة السلطان عبد الحميد ، فأُبعد إلى تبنين في لبنان ، وفيها وُلد أحمد . وبعد ذلك كان عضوا في « مجلس المبعوثان » إثر إعلان الدستور في عام ١٩٠٨ . وكان في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي عضوا في المعارضة الفلسطينية ، كان معارضا لأمين الحسيني وضد المجلسيّين وكان مع المعارضة النشاشيبية .

أحمد لم يكن في معسكر والده ، و شاب علاقته به بعض التوتر في جميع مراحل الحياة ، وكان بناؤه الأيديولوجي هو المؤشر والبوصلة ، ولا يعني هذا انه كان مؤيدا للمجلسيّين . كان مع اتفاق الحركة الوطنية الفلسطينية ، وشارك في تأسيس « حزب الاستقلال » للتغلب على الحالة العائلية والحمائلية ، وتكوين حركة وطنية حديثة مبنية على الكفاءات ، ورغم منجزات الحزب ، لم يكتب للحزب النجاح في ذلك رغم الجهود المبذولة .

سُجن أحمد خلال الثورة مع من سجنوا وأُبعد وفُرضت عليه الإقامة الجبرية . وفي نهاية الثورة حدثت حادثة مؤسفة إذ قُتل أخوه الدكتور أنور واتُهمت بعض الفصائل بقتله ، مع أن الدكتور أنور كان يساعد الثوار كثيرا ، كان يخرج إلى الجبال ويعالجهم ، ومع ذلك لم يُفقد الحادث الأليم أحمد « البوصلة » .

مارس نشاطا مهنيا عندما ترافع كمحامٍ ، وهنا لمع نجمه كمحامٍ في قضية « وادي الحوارث » ، والمحامي عوني عبد الهادي كان الشخص الذي اهتم بالمعالجة القضائية لهذه القضية . وعندما طرح على أحمد الشقيري مكتبان للعمل والتدرب؛ مكتب مستقر ذو إمكانيات للمحامي مغنم المغنم ، ومكتب عوني عبد الهادي ، اختار مكتب مغنم المغنم وعمل فيه فترة قصيرة ثم انتقل إلى مكتب عوني عبد الهادي (سكرتير حزب الاستقلال) ، لأن مكتب عبد الهادي عمل في قضية الأراضي ومن ثم هي فرصة لأحمد لممارسة نشاطه الوطني .

كان لهذا الجيل بصمات . بعض الرفاق الذين ذكرتهم : أكرم زعيتر ، إميل الغوري ، يوسف هيكل ، مارسوا نشاطهم في بلاد عربية أخرى وأصبحوا وزراء في الأردن ، وفعل ذلك أحمد الشقيري بشكل أو بآخر وكُتب له في فترة توليه منصب رئيس منظمة التحرير الفلسطينية أن يكونوا خصوما له ، مع أنهم أبناء جيله ممن تربطه بهم علاقات شخصية جيدة ، وانتماء أيديولوجي وفكري مشترك ، إلا أنه في مرحلة توليه رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية أصبح بينه وبينهم خصومة شديدة كون هؤلاء كلهم يعملون في المنظمة السياسية الأردنية ، المختلفة مع المنظمة أحيانا .

كان الشقيري ناقداً للحاج أمين في العشرينيات ، وبعد تولي أحمد الشقيري منظمة التحرير في ١٩٦٤ أصبح خصما للحاج أمين الذي كان يحاول أن يبقى الزعيم الأوحد للحركة الوطنية الفلسطينية . حدث في هذه الفترة أن ذهب الحاج أمين إلى الأردن ، واشترك الطرفان في خصومة أحمد الشقيري كرئيس لمنظمة التحرير .

إذا أردنا أن ننظر إلى الحياة الحافلة لأحمد الشقيري ونقسمها إلى مراحل ، نستطيع أن نقسمها إلى أربع مراحل :

المرحلة الأولى : نهاية الفترة العثمانية ، وفترة الانتداب .

المرحلة الثانية : من النكبة سنة١٩٤٨ إلى تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية .

المرحلة الثالثة : وهي الأهم في حياته ، رئاسته لمنظمة التحرير من أيار ١٩٦٤ وحتى كانون الأول ١٩٦٧ .

المرحلة الرابعة : الاستقالة والاعتكاف حتى الوفاة . ألف في الفترة الرابعة الكثير من الكتب .

المرحلة الأولى : تحدثت عنها ولا أريد أن أسهب ، ولكن من المهم ذكر بعض العلامات المميزة فيها .

لم تكن طفولته طفولة هانئة ، إذ حصل طلاق بين والديه واضطر للعيش مع والدته في بيت عمه الذي كان يعمل في طولكرم ، طفولته كانت صعبة ، وكان لها تأثير في كتاباته ، ذلك لعب دوراً في حياته .

عندما ذهب إلى عكا ، تعلم في المدرسة الأميرية ، وشاهد العمليات التي كانت تجري في حينه ، تغيير الهوية الفلسطينية من القومية العثمانية العامة إلى هوية وطنية فلسطينية وقومية عربية ، كانت بداية التبلور والصراع على الأرض بين الحركة الصهيونية والحركة الوطنية الفلسطينية .

يقرأ الصحف ويرى عن كثب اهتمام الناس بتصريح بلفور ، وتراجع في مكانة عكا ، ورأى كيف كانت تفقد دورها كعاصمة سياسية للمنطقة فترة طويلة ، وتكوّن مثلث مدن : القدس ، حيفا ، يافا ، وتسليط الأضواء على حيفا . وانتقاله للقدس أضاف له الشيء الكثير مما تعلمه في مدرسة صهيون ، ومعرفته للعهدين القديم والجديد أفاده في جداله مع الصهيونيين فيما بعد ، كما شكلت هذه الفترة لديه الكثير من الوعي السياسي ، وعندما انتقل إلى بيروت ودرس سنة في الجامعة الأميركية التي كانت مركز القوميين العرب : قسطنطين زريق ، والطلاب الفلسطينيون كانوا كثيري الفعالية . إبراهيم الشنطي وأكرم زعيتر . أسهمت هذه

الفترة كثيراً في بلورة وعيه السياسي ، وظهر ليس فقط ككاتب مناشير نشيط وإنما أيضا خطيبا مفوها ، هذه الموهبة كلفته الطرد من الجامعة الأميركية على خلفية نشاطه السياسي ، وأبعدته السلطات الفرنسية عن لبنان ، فعاد إلى فلسطين . درس في مدرسة الحقوق بالقدس ، وهناك زامل أكرم زعيتر في تحرير جريدة مرآة الشرق ، وحتى مجيء أكرم زعيتر وأحمد الشقيري كانت ذات ميول معارضة قريبة من النشاشيبيين ، معارضة للحاج أمين والمجلس الإسلامي . أحمد الشقيري وأكرم زعيتر جعلا منها منبرا قوميا ورفعا من مكانتها لتضاهي غيرها ، ومع أنه كرّس نشاطه في حزب الاستقلال ، وعمله الدءوب في هذا الحزب ، وصياغة دستور الحزب ومحاولة إقامة الفروع؛ ولكن هذا لم ينجح لعوامل كثيرة لوجود زعامات عائلية من كبار السن في الحزب .

المرحلة الثانية : نشاطه العربي ، فقد بدأ خارج فلسطين عندما عُيّن مساعدا لعبد الرحمن عزام (أمين عام الجامعة العربية) عام ١٩٥١ ، وكان قد واكب ورافق موسى العلمي الذي كان مندوبا لفلسطين في الجامعة العربية ، وبعثه مديرا لمكتب الدعاية في واشنطن وناطقا مهما للقضية الفلسطينية والبلاد العربية في الأمم المتحدة . واستعانت به دول عربية ليكون ناطقا في الأمم المتحدة ، كان نائبا لرئيس الوفد السوري ، ثم رئيسا للوفد السوري ، ثم رئيسا للوفد السعودي . وكان ناشطا في الدفاع عن القضايا العربية ، ولم يَرَ في ذلك تناقضا مع القضية الفلسطينية .

لامه البعض من أجل ذلك ، ولكن لا غبار عليه إذ لم يمنعه نشاطه في الوفدين السوري والسعودي أن يبقى ناطقا باسم القضية الفلسطينية ، وكان دائما في غياب ممثل فلسطين يصوغ القرارات ومشروعات القرارات المقدمة للأمم المتحدة باسم الوفود العربية ، ساعده في ذلك كثيرا معرفته بالقضية الفلسطينية والقضايا العربية ، وإجادة اللغة الإنجليزية .

المرحلة الثالثة : رئاسته منظمة التحرير الفلسطينية ، إذ حدث كثير من اللّبس وعدم الوضوح في هذه الفترة ، إذ إن هناك من اعتقد وهو مخطئ من أنه كان يعمل كما يريد جمال عبد الناصر ، وهذا غير صحيح ، فوثائق الحكومة المصرية والجامعة العربية وبعض وثائق منظمة التحرير تثبت أن الأمر لم يكن كذلك .

استطاع الشقيري أن يجد له مكاناً في السياسة القومية العامة التي أوجدها جمال عبد الناصر ، وكثيراً ما اختلف الرجلان ، إذا كان المفتي دعا للحفاظ على استقلال القرار الفلسطيني ، فلم يكن الشقيري أقل منه في ذلك .

ولهذا السبب كان المعارضون في الضفة الغربية والأردن يعارضون ما كان يقوم به جمال عبد الناصر من تطوير آليات لقطاع غزة ، وكان يطالب أن تكون أساسا للكيان الفلسطيني المستقل . وأثناء رئاسة الشقيري لمنظمة التحرير ، ورغم قساوة الظروف السياسية العالمية والعربية؛ كان عليه أن يناور بين الدول العربية ، بين معسكر جمال عبد الناصر ومعسكر السعودية ، وكان بحاجة لهما معا ، جمال عبد الناصر للشرعية القومية ، والسعودية للأموال ، ومن هذا المنطلق كان عليه أن يناور كثيرا ، ونجح في ذلك إلى حد بعيد .

ولكن الظروف العربية كانت شبه مستحيلة ، وكانت رئاسته لمنظمة التحرير عاصفة .

وكان له الكثير من المنجزات : إقامة المنظمة ، عقد المؤتمر الوطني الفلسطيني في القدس ، صياغة الميثاق القومي الفلسطيني في الأردن التي لم تكن في حينه مهتمة بالهوية الفلسطينية ، تشكيل جيش التحرير الفلسطيني ، تهيئة الجو للكفاح الفلسطيني ، إعادة صورة الفلسطيني ، إقامة مركز الأبحاث . من هذا المنطلق رغم قصر المدة (ثلاث سنوات وأشهر) ، كانت فترة حافلة ترك الشقيري فيها ميراثا نجده في مؤسسة المنظمة ، ومؤسسات السلطة الوطنية . والكثير من ضباط جيش التحرير موجودون الآن في مواقع مهمة في السلطة الوطنية ، والشعارات المفردات كلها تمت في فترة الشقيري . الهوية الجديدة التي قامت عليها منظمة التحرير ، وفرض الأسس التي اعتمد عليها فيما بعد ياسر عرفات ، وطبعاً يحيى حمودة في الفترة القصيرة لرئاسته لمنظمة التحرير . كان حمودة مناضلا ، دافع عن الثوار كثيراً ، له إسهامات ، ووضع حلا وسطا ريثما استطاعت منظمة فتح وياسر عرفات من بلوغ السيطرة على منظمة التحرير بعد ترك أحمد الشقيري موقعه ، هناك تغير تاريخي إذ كان قد تم إقصاء الحاج أمين من الذاكرة الشعبية الفلسطينية بشكل واضح ، فلا ميدان ولا شارع ولا مدرسة ولا كلية ولا وحدة باسم الحاج أمين ، وكذلك أحمد الشقيري لم ينل من ذلك الكثير .

اليوم نؤكد بهذا المنحى أنه في الشهر القادم سيتم تكريم أحمد الشقيري في رام الله ، ونأمل أن ينال حظه وحقه من التكريم والاحترام .